

.. "بُيُوتُ الْمُؤْمِنِينَ ؛ وَصَفُهَا الْمُبِينُ ، وَحِفْظُهَا الْأَمِينُ" .

حَلَقَاتٌ عِلْمِيَّةٌ تَرْبَوِيَّةٌ ، أَصِفُ فِيهَا الْبُيُوتَ الْمُؤْمِنَةَ ؛ عَقِيدَتَهَا وَأَخْلَاقَهَا ، ثُمَّ أُذَكِّرُ بَعْدَهَا بِالنِّزَائِمِ السَّلَفِيِّ الصَّرُورِيِّ فِي طُرُقِ وَأَسَالِبِ حِفْظِهَا مِنْ عُدْوَانِ الْفِرَقِ الْمُعْتَدِيَةِ .

حَلَقَاتٌ مُهِمَّةٌ ، وَبِخَاصَّةٍ فِي أَرْمَنَةِ الْعُرْبَةِ ، مُوَجَّهَةٌ لِجَمِيعِ أَفْرَادِ الْأَمْرِ الْمُسْلِمَةِ ، صَاحِبَاتِ اللَّهِ مِنْ حُطْطِ وَتَدَابِيرِ ذَوِي الشُّرُورِ الْكَائِدَةِ .

الحلقة (الحادية عشرة) :

-(بُيُوتُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْإِسْلَامِ)-

"وَصَفُ عَقِيدَةِ أَهْلِهَا الْمُؤَحِّدِينَ ، وَأَخْلَاقِهِمْ" .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحابه والتابعين ... أما بعد :

(مقدمة)

في هذه الحلقة سوف نبدأ -إن شاء الله- فيما وعدنا به من من ذكر أبواب مهمة في عقيدة التوحيد ، مما لا يسع المسلم ، أو المسلمة جهلها ، **وَأَحَبُّ أَنْ أَنْبَهَ -قَبْلَ الْبَدْءِ- بِأَمْرِ مُهِمِّ ، وَهُوَ أَنَّ :**

العبادات القولية ، والقلبية ، والفعلية -المحققة لكلمة التوحيد ، مما سيأتي ذكرها- متلازمة ، لا ينفك بعضها عن بعض ، فمن تكلم بلسانه بشيء من العبادات القولية لزم أن يقر بذلك بقلبه ، معتقداً بما قال ، عاملاً بمقتضى ذلك بقلبه ، أو بجوارحه ، وكذلك يقال في العبادات القلبية ، والفعلية ، وهذا هو "الذي عليه السلف ، والأئمة ، وجمهور الناس أنه لا بد من ظهور موجب ذلك على الجوارح ؛ فمن قال : إنه يصدق الرسول ، ويحبه ، ويعظمه بقلبه ، ولم يتكلم قط بالإسلام ، ولا فعل شيئاً من واجباته بلا خوف فهذا لا يكون مؤمناً في الباطن ؛ وإنما هو كافر"^(١) ، و"متى ثبت الإيمان في القلب ، والتصديق بما أخبر به الرسول وجب حصول مقتضى ذلك ضرورة ؛ فإنه ما أسر أحد سريرة إلا أبداها الله على صفحات وجهه ، وفلتات لسانه ؛ فإذا ثبت التصديق في القلب لم يتخلف العمل بمقتضاه ألبتة ؛ فلا تستقر معرفة تامة ، ومحبة

(١) مجموع الفتاوى ؛ لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٢٠/١٤-١٢١) .

صحيحة ، ولا يكون لها أثر في الظاهر ، ولهذا ينفي الله الإيمان عمن انتفت عنه لوازمه؛ فإن انتفاء اللازم يقتضي انتفاء الملزوم ؛ كقوله تعالى : { وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ } [المائدة: ٨١] ، وقوله : { لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ } الآية ، [المجادلة: ٢٢] ، ونحوها ؛ فالظاهر ، والباطن متلازمان لا يكون الظاهر مستقيماً إلا مع استقامة الباطن ، وإذا استقام الباطن فلا بد أن يستقيم الظاهر ، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم : { أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْعَةً ؛ إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، أَلَا وَهِيَ : الْقَلْبُ }^(١)،^(٢) ، وهذا الحديث - من حيث التأصيل ، والتقدير - أصل للتلازم بين الظاهر ، والباطن ، ولكن عند الكلام على مناط التكفير ، أو الإيمان فإنه يكون على الظاهر ؛ فدليله - في الحكم بالإيمان - قوله صلى الله عليه وسلم لخالد رضي الله عنه لما استأذنه أن يضرب عنق المعتز على الرسول صلى الله عليه وسلم حكمه ، قال : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَلَا أَضْرِبُ عُنُقَهُ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "فَلَعَلَّهُ يَكُونُ يُصَلِّي" ، فَقَالَ : إِنَّهُ رَبُّ مُصَلٍّ يَقُولُ بِلِسَانِهِ مَا لَيْسَ فِي قَلْبِهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "إِنِّي لَمْ أُوَمِّرْ أَنْ أُنْقَبَ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ ، وَلَا أَشُقُّ بُطُونَهُمْ"^(٣) ؛ وكذلك يقال في : الحكم بالتكفير ؛ ف"من سب الله ، أو سب رسوله كفر ظاهراً ، وباطناً ، وسواء كان الساب يعتقد أن ذلك محرم ، أو كان مستحلاً له ، أو كان ذاهلاً عن اعتقاده ، هذا مذهب الفقهاء ، وسائر أهل السنة القائلين بأن الإيمان قول ، وعمل"^(٤) ، ومن أدلة ذلك ما "قال تعالى في حق المستهزئين : { لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ } [التوبة: ٦٦] ، فبين أنهم كفار بالقول ، مع أنهم لم يعتقدوا صحته"^(٥) ،

(١) رواه البخاري (٥٢) ، ومسلم (٤١٠١) .

(٢) مجموع الفتاوى ؛ لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢٧٢/١٨) .

(٣) رواه البخاري (٤٣٥١) ، ومسلم (٢٤١٦) .

(٤) الصارم المسلول ؛ لشيخ الإسلام ابن تيمية (٥١٣/١) .

(٥) الصارم المسلول ؛ لشيخ الإسلام ابن تيمية (٣٦٩/٣) .

والآن أوان الشروع في المقصود ، فأقول وبالله التوفيق :

أولاً : العبادات القولية :

[١] عِبَادَةُ الدُّعَاءِ .

من أنواع العبادات القولية : عبادة الدعاء ، وهو من أجل العبادات ،

تَعْرِيفُ الدُّعَاءِ ؛ لُغَةً ، وَاصْطِلَاحًا :

الدُّعَاءُ لُغَةً : مصدر من "دعا الرجل دعواً ، ودعاءً : ناداه ، والاسم : الدعوة ،

ودعوت فلاناً : أي صحت به ، واستدعيته"^(١) ،

وَاصْطِلَاحًا : نداء العبد ربه -على وجه التذلل ، والافتقار ، والخضوع- بطلب ما

ينفعه ، أو كشف ما يضره ، أو دفعه"^(٢) .

وَمِنْ أَقْسَامِ الدُّعَاءِ :

دعاء الاستعانة ،

ودعاء الاستغاثة ،

ودعاء الاستعاذة ،

ف:

دُعَاءُ الإِسْتِعَانَةِ : هو دعاء الله بتفريج الكرب ، أو بتحصيل المنافع ؛ كاستعانة

بالله ؛ طلباً لمنع شرور الأعداء ، ورغبة في راحة البال ، والسعة في الأرزاق .

وَدُعَاءُ الإِسْتِغَاثَةِ : هو دعاء الله بتفريج الكرب ، والشدائد ؛ كاستغاثة بالله ؛ طلباً

لنزول الأمطار ، ودفع الجوع المهلك ، وسائر الأمراض .

وَدُعَاءُ الإِسْتِعَاذَةِ : هو دعاء الله بالحماية من شر كل ذي شر ؛ كاستعاذة بالله ؛

طلباً للحماية من رجس الشيطان الرجيم ، وأعدائه الفاجرين .

فالدعاء يعم كل هذه الأقسام ، والاستعانة أعم من الاستغاثة ، والاستعاذة ، ف:

(١) لسان العرب (٢٥٨/١٤) .

(٢) انظر : بدائع الفوائد ؛ لابن القيم (٣/٢) .

تكون الاستغاثة لطلب الإعانة ، والإغاثة لتفريج الكرب ، ونحوها .

والاستعاذة لطلب الإعانة ، والحماية من الشرور ، وأهلها ،

وقد دل على الدعاء ، وأقسامه نصوص ، وآثار ،

فمن أدلة الدعاء -على وجه العموم-:

قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥-٥٦] ،

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦] ،

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠] ،

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر: ١٤] ،

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: ٦٥] ،

وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا دَعَانِي " ^(١) .

وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ" ، وَقَرَأَ : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] -إِلَى قَوْلِهِ- ﴿دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠] ^(٢) ،

وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ مِنَ الدُّعَاءِ" ^(١) ،
وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "إِنَّ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي مَنْ عَبَدَهُ

إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ، أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا" ^(٢) .

(١) رواه مسلم (٦٩٢٧) .

(٢) رواه أبو داود (١٤٧٩) ، والترمذي (٢٩٦٩) ، وابن ماجه (٣٨٢٨) .

ومن أدلة الاستعانة :

قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاحة: ٥] ،
 وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ
 مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨] ،
 وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في وصيته لابن عباس رضي الله عنهما - : " يَا غُلَامُ إِنِّي
 أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ : احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظَكَ ، احْفَظِ اللَّهَ بَجِدِّهِ بُجَاهَكَ ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ
 اللَّهَ ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ ، ... " (٣) ،
 وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ ، وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ
 الضَّعِيفِ ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ ؛ اِحْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ ... " (٤) .
 ومن أدلة الاستغاثة :

قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبْ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩] ،
 وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ
 أَلِئِنَّ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢] ،
 وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال - :
 " كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَرِهَهُ أَمْرٌ قَالَ : " يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ بِرَحْمَتِكَ
 أَسْتَغِيثُ " (٥) ،

ومن أدلة الاستعاذة :

قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ
 يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٨-٩٩] ،

(١) رواه الترمذي (٣٣٧٠) ، وابن ماجه (٣٨٢٩) .

(٢) رواه أبو داود (١٤٨٨) ، والترمذي (٣٥٥٦) ، وابن ماجه (٣٨٦٥) .

(٣) رواه الترمذي (٢٥١٦) .

(٤) رواه مسلم (٦٨٦٨) .

(٥) رواه الترمذي (٣٥٢٤) .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١] ،

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: ١] ،

وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه -: "أَلَمْ تَرَ آيَاتِ أَنْزَلَتْ اللَّيْلَةَ لَمْ يُرْ مِثْلُهُنَّ قَطُّ ، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ ، ﴿وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾" (١) .

وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في حديث عائشة رضي الله عنها ؛ أَنَّهَا عَلَّمَهَا هَذَا الدُّعَاءَ : "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ ، وَآجِلِهِ ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ ، وَمَا لَمْ أَعْلَمْ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ ، وَمَا لَمْ أَعْلَمْ ، ..." (٢) ،

نكمل في الحلقة التالية إن شاء الله .

(١) رواه مسلم (١٨٤٣) .

(٢) رواه ابن ماجه (٣٨٤٦) .